الهَدِيّة الهَادِيَة
إلى
الطائفة التجَانية

تأليف
الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الاولى
١٣٩٣ – ١٩٧٣

الهديـــة الهادية

الـــى

الطائفة التيجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول محمد تقي الدين الهلالي :

لما رأيت الشرك الأكبر ، بله الأصغر ، قد انتشر في البلاد الاسلامية والبدع عمت في جميع الاقطار ، وقل علماء الكتاب والسنة الناصحون للأمة ، وانتشرت طرائق المتصوفة المبتدعين في الخاصة والعامة ، ومنها الطريقة التجانية التي يعد متبعوها بعشرات الملايين في البلاد الاسلامية ، وكنت عالما بعُجرها وبُجرها فأطلعت على بعض ما فيها من الضلالات صاحب الفضيلة العالم الورع الداعي الى الله على بصيرة محي السنة وميت البدعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ، فتعجب من ذلك غاية التعجب ، وحثني على تأليف جزء في بيان حقيقة هذه الطريقة وما فيها من الأباطيل ، ليحذرها من لم يقع في شباكها ، ويتنبه لما فيها الذين لا يزالون متورطين في مهاويها ، عسى الله ان ينقذهم ويردهم الى المحجة البيضاء [1] فامتثلت أمره شاكراً وألفت هذا الكتاب وسميته :

---

(١) وهذا شأنه – حفظه الله – في رد عدوان اصحاب البدع والضلالات من اعداء السنة النبوية ، الظاهرين والمتسترين ، من امثال زاهد الكوثري وتلامذته . جزاه الله عن الاسلام واهله كل خير ، وكتب له العون والسداد .

« الهدية الهادية الى الطائفة التجانية »

وقد تفضل سماحته ، فأمر بطبعه ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، وجعل هذا العمل ذخرا في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

ولا يفوتني في هذا المقام ان اقدم اسمى آيات الشكر لكل من ساعد على نشر هذا الكتاب ولا سيما الأديب العبقري ، فضيلة الامين العام للجامعة الاسلامية الاستاذ الشيخ محمد العبودي فانه تلقى هذا العمل باغتباط ، وبذل في نشره جهوده المشكورة فجزاه الله خيرا .

والله أسأل متوسلا اليه بأسمائه الحسنى كلها وبمحبتنا واتباعنا لخليله محمد خاتم النبيين ، وامام المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، ان ينفعنا بهذا الكتاب وينفع به كثيرا من خلقه ، ينير لهم الظلمات بمصابيح الكتاب والسنن المحكمات ، ويهدينا جميعا الى صراطه المستقيم ، ويجعل مأوانا في جنات النعيم ، مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، والحمد لله رب العالمين .

الحمد لله الذي ارسل خاتم النبيين وامام المرسلين ، محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بشيرا لمن آمن به ، واهتدى بهديه ، بالفوز المبين ونذيرا لمن كفر به وخالف سنته بالعذاب المهين وصل اللهم على محمد وازواجه وذرياته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت عـــلى ابراهيم ، صلاة تشمل آله ومن تمسك بسنته الى يوم الدين ٠

اما بعد فيقول أفقر العباد الى الغني الكبير المتعالي ، محمد تقي الدين بن عبد القادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه :

نشأت في بلاد سجلماسة وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ورأيت أهـــل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفة لا تكاد تجد واحدا منهم لا عالما ولا جاهلا الا وقد انخرط في سلك احدى الطرائق ، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق ، يستغيث بـه في الشدائد ويستنجد به في المصائب ، ويلهج دائما بشكره والثناء عليه فان وجد نعمة شكره عليها ، وان اصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته ، ولا يخطـر بباله ان شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الارض فهو على كل شيء قدير وسمعت الناس يقولون : من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ٠ وينشدون قول ابن عاشـــور في ارجوزته التي نظمها في عقيدة الاشعرية ، وفي فروع المالكية ، وفي مبادىء التصوف :

يصحب شيخا عارف المسالك　　يقيه في طريقه المهالك
يذكـــــره اللـه اذا رآه　　ويوصـل العبد الى مولاه

ورأيت الطرائق المنتشرة في بلادنا قسمين :

١ ـ قسم ينتمي اليه العلماء وعلية القوم ٠

٢ ـ وقسم ينتمي اليه السوقة وعامة الناس ٠

فمالت نفسي الى القسم الاول ، وسمعت أبي وهو من علماء بلدنا مرارا يقول : لولا ان الطريقة التجانيـة تمنع صاحبهـا من زيـارة قبور الاوليـاء والاستمداد منهم وطلب الحاجات الا قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والا قبر الشيخ التجاني ، وقبور من ينتمي الى طريقته من الاولياء ، قال ابي : لولا ذلك لاخذت ورد الطريقـــة

التجانية ، لاني لا استطيع ان اترك زيارة جدنا عبد القادر ابن هلال ، وجدنا كان مشهورا بالصلاح وله قبر يزار وهو معدود من جملة الاولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي من بلاد المغرب ٠

والطريقة التجانية ، والدرقاوية ، والكتانية ، وان كان اهلها في بلادنا قليلا ، تؤلف القسم الاول ، فاشتاقت نفسي الى أخذ ورد الطريقة التجانية وانا قد ناهزت البلوغ فذهبت الى المقدم وقلت له : يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية ، ففرح كثيرا ، وقال لي : تأخذ الورد على صغر سنك ؟ قلت : نعم ، فقال : بخ بخ لك أفلحت وأنجحت فأعطاني الورد وهو :

ذكر لا اله الا الله مائة مرة ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم باي صيغة مائة مرة ، لكن صيغة الفاتح لما اغلق هي افضل الصيغ ، وسيأتي ان شاء الله ذكر فضلها (١)في هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه ٠ وأعطاني كذلك الوظيفة وهي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلاثين مرة ، وصلاة الفاتح لما اغلق خمسين مرة ، ولا اله الا الله مائة مرة ، وجوهرة الكمال وهي : اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية ٠٠٠الخ ، وسيأتي ذكر الفاظها اثنتي عشرة مرة ، وهذه الصلاة لا تذكر الا بطهارة مائية ، فمن كان فرضه التيمم فعليه ان يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة ، قال : وانما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها ٠

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة ، ويكون الذاكر جالسا كجلسة التشهد على الافضل مغمضا عينيه مستحضرا صورة الشيخ احمد التجاني وهو رجل ابيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء ، ويتصور في قلبه ان عمودا من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد ٠

اما الوظيفة فيجب ان تذكر جماعة بصوت واحد ، ان كان للمريد اخوان في بلده ، فان لم يكن له اخوان تجانيون في بلاده جاز له ان يذكرها وحده مرة في كل يوم ٠

---

(١) الفضل المزعوم عندهم

وأخبرني المقدم الشيخ عبد الكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد وسأذكرها فيما بعد انشاءاللهواستمررت على ذكر الورد والوظيفة باخلاص ملتزما الشروط مدة تسع سنين ، وهنالك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلا بغروب الشمس وهو : لا اله الا الله الف مرة ، والافضل ان يكون معه سماع قبله او بعده ، وهو انشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعا : الله حي ، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم الى لفظ آه ، آه ، آه ، ويسمون هذه الحالة العمارة ، وقد تركوها منذ زمان طويل لان ابناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة ، وهم يأتون من الجزائر الى المغرب وقد اشاروا على المغاربة ان يتركوا العمارة لانهم لا يستحسنونها . ولكن في كتب الطريقة أنها فعلت امام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه واقراره .

وكنت كلما اصابتني مصيبة استغيث بالشيخ فلا يغيثني ، فمن ذلك اني كنت في الجزائر مسافرا من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب الى (المشرية) ، وكان لي رفيق له جمل فعقله واوصاني بحراسته وتركني في خيمة قلنا فيها من خيام اهل البادية ، فانحل عقال الجمل وانطلق في البرية فتبعته فاخذ يستهزىء بي ، وذلك انه يبقى واقفا الى ان اكاد اضع يدي على عنقه ثم يجفل مرة واحدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني الى ان اكاد اقبضه ثم يهرب مرة اخرى وذلك في نحر الظهيرة وشدة الحر ، فقلت في نفسي : هذا وقت الاستغاثة بالشيخ فتضرعت اليه وبالغت في الاستغاثة ان يمكنني من قبض الجمل واناخته فلم يستجب ، فعدت على نفسي باللوم واتهمتها بعدم الاخلاص والتقصير في خدمة الطريقة ولم اتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي ، ومع ان شيوخ الطريقة يوصون المريد ان لا يطالع شيئا من كتب التصوف الا كتب الطريقة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب « الاحياء » للغزالي فطالعته فاثر في نفسي واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد ، فبينما انا ذات ليلة اصلي قيام الليل امام خيمتي الصغيرة التي اذا كنت جالسا فيها يكاد رأسي يمس سقفها اذ رأيت غماما أبيض سد الافق كالجبل المرتفع من الارض الى السماء واخذ ذلك الغمام يدنو مني آتيا من جهة الشرق ـ وهو قبلة المصلي في المغرب والجزائر ـ حتى وقف بعيدا مني وخرج منه شخصوتقدم حتى قرب مني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتما بي ، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة ، ولم استطع ان اميز وجهه بسبب الظلام ،

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ في سورة الم السجدة ففزعت وخفت خوفا شديدا فخرجت منها الى سورة اخرى اظنها سورة سبأ ، ولم استطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي اصابني ، فتركت السور الطوال واخذت اقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها الى رباطة جأش واستحضار فكر ، فصلى معي ست ركعات ، ولم أرد أن أكلمه ، لان كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء معا يعرض له في سلوكه حتى يصل الى الله ، وتنكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش ، ولا يبقى شيء من المغيبات خافيا عليه ، ولما طال علي زمان الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة السادسة فقلت : يا رب ان كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني ، وان لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني ، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلم هو ايضا ، ولم اسمع له صوتا ولكني رأيته التفت عند السلام الى جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية ، فانه يسلم مرة واحدة عن يمينه ، السلام عليكم دون ان يضيف اليها رحمة الله وبركاته ، وان كان مؤتما بامام يسلم ثلاث تسليمات ان كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل ، وتسليمة امامه للامام ، وتسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله وقد ثبت في الحديث الذي رواه ابو داود وصححه الحافظ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان اماما أو مأموما أو منفردا .

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الابيض الذي كان قائما في مكانه الذي كان ينتظره ، وبعد دخوله في الغمام فورا أخذ الغمام يتقهقر الى جهة الشرق حتى اختفى عن بصري وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الاخلاق وسأذكره فيما بعد ، فسافرت اليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي : يمكن ان يكون ذلك شيطانا لو كان ملكا ما اصابك فزع ولا رعب ، فظهر لي ان رأيه صواب .

وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث ، فرأيت في كتاب «صحيح البخاري» ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل وهو في غار حراء ، فظهر لي ان رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح وبقيت المشكلة بلا حل الى الآن وكنت حينئذ

مشركا استغيث بغير الله واخاف وارجو غير الله ومن هذا تعلم ان ظهور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلا على صلاح من ظهرت له تلك الخوارق ولا على ولايته لله البتة فان كل مرتاض رياضة روحية تظهر له الخوارق على اي دين كان وقد سمعنا وقرأنا أن العباد الوثنيين من اهل الهند تقع لهم خوارق عظام • وبعد ذلك بأيام رأيت في المنام رجلا نبهني واشار الى الافق فقال لي انظر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي ان الاوسط منهم هو النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت اليه فلما وصلت اليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده وقلت يا رسول الله خذ بيدي الى الله فقال لي اقرأ العلم ففكرت وعلمت اني في بلاد الجزائر وكان الفرنسيون مسؤولين عليها وكان فقهاء بلدنا يكفرون كل من سافر الى الجزائر واذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الاسلام من جديد ويعقدون له عقدا جديد على زوجته فقلت في نفسي هـــذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني بطلب العلم ، وانا في بلاد يحكمها النصارى ، فاما أن أكون عاصيا أو كافرا فكيف يجوز لي ان اطلب فيها العلم هذا كله وقع في لحظة وانا لا ازال واقفا امام النبي صلى الله عليه وسلم فقلت في بلاد المسلمين ام في بلاد النصارى فقال لي البـــلاد كلها لله فقلت يا رسول الله ادع الله ان يختم لي بالايمان فرفع اصبعه السبابـــة الى السماء وقال لي عند الله وبعدما خرجت من الطريقة التجانية عـــلى اثر المناظرة التي سأذكرها فيما بعد ان شاء الله بزمان طويل رأيت النبي صلى الله عليـــه وسلم مرة اخرى في المنام على صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة ، ففي الاولى كان طويلا ابيض نحيفا مشربا بحمرة لحيته بيضاء ، اما في هذه المرة فكان ربعة من الرجال الى الطول اقرب ولم يكن نحيفا ولحيته سوداء وبياض وجهه وحمرتـه أقرب الى الوان العرب من المرة الاولى وكانت رؤيتي له في فلاة من الارض وكنت بعدما خرجت مـــن الطريقة التجانية توسوس نفسي احيانا بما في كتاب جواهر المعاني مما ينسب الى الشيخ التجاني انه قال من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الاحمدية المحمديـــه الابراهيمية الحنيفية التجانية فلا خوف عليه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه ايا كان من الاحياء او من الاموات اما من اخذ وردنا وتركه فانه يحل به البلاء دنيا واخرى ولا يموت الا كافرا قطعا وبذلك اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وقال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وانـــا مربيهم وسيأتي من هذه الاخبار وامثالها ان شاء الله كثـير في ذكـر فضائـل الاوراد

والاصحاب فكنت ادفع هذا الوسواس بادلة الكتاب والسنة وارجم شيطانه باحجارهـــا فيخنس ثم يخسأ ويدبر فارا منهزما فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على ان ابدأ الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم بان اسأله ان يدعو الله لي ان يختم لي بالايمان واظن القارىء لم ينسى اني سألته ذلك في المرة الاولى فلم يدع لي ولكنه رفع اصبعه السبابة الى السماء وقال عند الله فقلت يا رسول الله ادع الله ان يختم لي بالايمان فقال لي ادع انت وانا اؤمن على دعائك فرفعت يدي وقلت اللهم اختم لي بالايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وكان رافعا يديـه فزال عني ذلك الوسواس ولكني لم آمن مكر الله تعالى فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والرؤيا تبشر ولا تغر وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختم الله لي بالايمان بتأمينه على دعائي والرؤيا التيقدمت ذكرها ولم يدع لي فيها عشرون سنة وتأولت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا الاولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة وبما صرت اليه من توحيـــد الله تعالى واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم ٠

سبب خروجي من الطريقة التجانية

لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين وكنت ارى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الاسلام ولم يكن يخطر لي ببال ان اتزحزح عنها قيد شعرة وكان الشيخ عبد الحي الكتاني عدوا للطريقة التجانية لانه كان شيخا رسميا للطريقة الكتانيـــة وانما قلت رسميا لان اهـل سلا اعني الكتانيين انصـــار الشيخ محمد بن عبـد الكبير الكتاني مؤسس الطريقة الكتانية لا يعترفون به أيبالشيخ عبد الحي ويقولون أن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضا والذي حدثني بذلك هو العالم الأديب النبيل الشيخ عبد الله بن سعيد السلوي فانه كان حامل لواء نصرة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وكان يعادي أخاه عبد الحي عداوة شديدة ويرميه بالعظائم والكبائر التي لا يسوغ ذكرها هنا والاستطراد بذكر أسباب العداوة بين الشيخين الكتانيين الأخوين يخرج بنا عن الموضوع ، أقول مر بنا الشيخ عبد الحي في وجدة وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سكيرج قاضي القضاة بناحية وجدة معلما لولده الأديب السيد

عبد الكريم وابن أخيه السيد عبد السلام كنت أعلمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سكيرج فمدحت عبد الحي بقصيدة ضاعت مني ولا أذكر شيئا منها ولكنه أعجب بها أيما اعجاب حتى قال لي عاهدني انك اذا قدمت فاسا تنزل عندي ضيفا فعاهدته على ذلك ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت الى فاس ونزلت عنده وولد له في تلك الأيام ولد سماه عبد الأحد فالتمس مني نظم أبيات في التهنئة وتاريخ مولده فنظمتها ولا أذكر منها شيئا وفي اليوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا لها خلقا كثيرا وبعد ما أكلوا وشربوا قاموا للعمارة التي تقدم ذكرها ودعوني أن أشاركهم في باطلهم فامتنعت لأن من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع أهل طريقة أخرى ذكرهم وأن لا يرقص معهم وفي كتاب البغية للشيخ العربي ابن السايح وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي حكاية في وعيد شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق الأخرى في أورادهم وأذكارهم وحاصلها أن شخصا تجانيا ذهب الى زاوية أهل طريقة أخرى لغرض دنيوي فاستحى أن يبقى منفردا عنهم وهم يذكرون وظيفتهم فشاركهم في الذكر فلما فتح فاه ليذكر معهم أصابه شلل في فكيه فبقي فاه مفغورا ولم يستطيع سده حتى مات ولكن الجماعة ألحوا علي وجروني جرا حتى أوقفوني في حلقتهم فرأيت أفواها مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء وبعضها فيه لحية خطها الشيب وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد ، أما حلق اللحى فلم يكن موجودا في ذلك الزمن الا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جدا من حواشيهم وسمعت أصواتا تنبعث من تلك الأفواه ليس لها معنى في أي لغة بعضها آ آ آ وبعضها آه آه آه ، وبعضها أح أح أح فاستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي ان الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعى أو الفرزدق حين طلق نوار فقال :

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

وقلت في نفسي كيف يسوغ لي أن أنكر شيئا حضر مثله خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني فتبت من ذلك الخاطر ولكن جاءني امتحان آخر وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقدا أن الطريقة التجانية مبنية على شفا جرف وأنه لا ينبغي لعاقل

أن يتمسك بها فقلت له والطريقة الكتانية التي أنت شيخها فقال لي كل الطرائق باطلة وانما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم ، فقلت اذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم ، قال أنا لم أؤسس الطريقة وانما أسسها غيري وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقها في مصالح لا ينفقونها هم فيها ثم قلت له : ومن الذي حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها ، قال لي ادعاء كل من الشيخين أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها وهذه قلة حياء منهما وعدم تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تكلفونه أن يخرج من قبره ويقطع هذه المسافات من البر والبحر ليجلس أمامكم فأنتم تبسطون له ثوبا أبيض ليجلس عليه وأصحابنا يقومون ويذهبون الى الباب ليتلقوه فقلت اذن أنت لا تعتقد صحة طريقتك فقال لا اعتقدها أبدا وقد أخبرتك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل وأزيدك على ذلك أن اعتماد طريقتكم على كتاب جواهر المعاني الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه على علي حرازم نصفه مسروق فاحد المجلدين وهو الاول مسروق بالحرف وهو تاليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفاس وسمي ناحية نسيتها الآن ، قال وأنا قابلت الكتابين من أولهما الى آخرهما فوجدت المجلد الأول من جواهر المعاني مسروقا كله من كلام الشيخ المذكور ففارقته وبعد أيام كنت جالسا عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي هل اجتمعت بالاستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي ، فقلت لا ، فقال لي هذا الرجل من أفضل علماء فاس وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس وأثنى عليه بالعلم والأدب فقلت له أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته فقال لي ان طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس وبذلك يتسع علمه وأدبه ولا يجب عليه أن يقلدهم في كل ما يدعون ، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر وان لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير فذهبت اليه لاجتمع به وكان قاضيا في محكمة فاس الجديدة فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها الا شطر البيت الرابع وهو (وهذا مدى قصدي وما أنا مستجد) ... أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية فهي غاية قصدي وان اعتبرنا ما موصولة يكون المعنى والذي استجديه أي أطلب وان اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنى ولست مستجديا أي طالبا مالا فلما

خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت على باب المحكمة ولجامها بيد خادمه تقدمت اليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات فلما قرأها رحب بي وقال لطالب كان يرافقني وهو الحاج محمد بن الشيخ الاراري أنت تعرف بيتنا ، فقال نعم ، قال فات به على الساعة التاسعة صباحا فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشراطين وكان يسكن فيها على الساعة الثامنة والنصف لنصل الى الشيخ على الساعة التاسعة وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو يوم عيد عند المغاربة وكثير من البلدان الاسلامية وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) اتباع الشيخ بنعيسى المكناسي وهؤلاء لهم موسم في كل سنة يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ويأتون من جميع أنحاء المغرب فيضربون طبولهم ومزاميرهم ويترنمون بأناشيدهم الى أن يظهر للناس انهم أصيبوا بالجنون وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون زكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيئا والدم يسيل منه وقد ملأوا أزقة فاس وهي ضيقة في ذلك الزمن وحتى في هذا الزمن فلم نستطع أن نصل الى بيت الشيخ الا بعد مضي ساعتين ونصف من شدة الزحام فلما وصلنا وأخبرنا بوابه ذهب ثم رجع الينا وقال انكما لم تجيئا في الموعد المضروب والشيخ مشغول عنده حكام فرنسيون فارجعا اليه بعد صلاة العصر فرجعنا وقلت لصاحبي لا نرجع اليه فقد كفانا الله شر لقائه لانه مبغض لشيخنا وطريقته فالخير فيما اختاره الله تعالى فقال لي ليس الشيخ بملوم وقد اعتذر بعذر قائم والصواب أن نرجع اليه،فرجعنا اليه بعد العصر،ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة والاكرام والتواضع ما لم أجده عند الشيخ الكتاني ولا عند أحد من علماء فاس وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي • ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي الى أين تذهب أنت غريب في هذا البلد وهذا المكان معد للضيوف لا نحتاج اليه فامكث وبت هنا فقبلت دعوته وبعد أن صلينا المغرب جاء أصحابه أذكر منهم الشيخ عبد السلام الصرغيني والشيخ المهدي العلوي وهو لا يزال في قيد الحياة أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب الشطرنج وهو يراهم ولا ينكر عليهم فقلت في نفسي هذا دليل على أنه من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فهو جدير أن ينكر على أولياء الله ما خصهم الله به من كرامة ثم تركوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها ويسخرون

من أهلها وكل منهم يحكي حكاية فقال الشيخ عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم جاءني شاب كان متمسكا بالطريقة الكتانية تمسكا عظيما فقال لي أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة فقلت له وما الذي دعاك الى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطا بها فقال لي أنه أمس شرب الخمر وزنى وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه فهم أن يدخل الزاوية ويرقص معهم ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شيئا من الصلوات في ذلك النهار الا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ محمد بن عبد الكبير في صدر الحلقة والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلك فاقتديت به قال ولما دعاني خفت خوفا شديدا وظننت أنه قد انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي فلما قال لي ذلك أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو اليه والا كيف يرضى عني النبي صلى الله عليه وسلم ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم قال فهذا سبب مجيئي اليك لأتوب الى الله من الطرائق كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة . ولما رأيتهم أنا يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها أصابني خوف شديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت في نفسي هذا الذي كنت أخافه قد وقعت فيه فكيف الخلاص ؟

وذكرت قول التجاني بن بابا الشنقيطي في منيته :

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضل في مهامه وفي حلك
وشدد النهي لنا الرسول في ذاك فلتعمل بما أقول
والشيخ قال هو سم يسري يحل من فعله في خسر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فان ذلك يؤذيني فصممت على أن أخرج من ذلك المجلس فقمت فقال لي الشيخ الى أين فقلت الى بيت الخلاء ، كذبت عليه ، فلما وصلت الى الباب منعني البواب من الخروج وقال لي هل اذن لك الشيخ في

الخروج فقلت نعم فقال لي هذا محال لانك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلا فيه خطر فانك لا تمشي خطوات حتى يقبض عليكوتؤخذ الى السجن وتبقى فيه الى ضحى الغد وحينئذ ينظر في اطلاق سراحك وقال لي أنا لا أفتح لك الباب الا اذا سمعت الاذن من الشيخ فقلت له اذن أرجع ورجعت وجلست في مكاني ولم تخف حالي على الشيخ فقال لي أراك منقبضا فما سبب انقباضك فقلت سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية الى الطعن في الطريقة التجانية وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه الطعن في شيخي وطريقته فقال لي لا بأس عليك أنا أيضا كنت تجانيا فخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها فان كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلسي انتقادا لها أو طعنا فيها وان كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم الى المناظرة فان ظهرت علي رجعت الى الطريقة وان ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة .

المنـــــــاظرة

قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة ان ثبتت ثبتت الطريقة كلها وان بطلت بطلت الطريقة كلها ، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فان ثبتت رؤيتـه للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطـل والرجوع الى الحق حق وان بطل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قالتبدأ أنت أو أبدأ أنا فقلت أبدأ أنتفقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في ابطال دعوى التجاني قلت هـــات ما عندك وعلي الجواب فقـــال :

الاول : ان أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمـــير وقال المهاجرون ان العرب لا تذعن الا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن

دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي الف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الخفدة فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لا فضل الناس بعده في أهم الامور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لامر غير مهم فقلت له :

أن الشيخ رضي الله عنه قد أجاب عن هذا الاعتراض في حياته فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى الخاص للخاص والعام للعام في حياته أما بعد وفاته فقد انقطع القاء العام للعام وبقي القاء الخاص للخاص لم ينقطع بوفاته وهذا الذي ألقاه الى شيخنا من اعطاء الورد والفضائل هو من الخاص للخاص فقال أنا لا أسلم أن في الشريعة خاصا وعاما لأن أحكام الشرع خمسة وهذا الورد وفضائله ان كان من الدين فلا بد أن يدخل في الأحكام الخمسة لأنه عمل أعد الله لعامله ثوابا فهو اما واجب أو مستحب ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى حتى بين لأمته جميع الواجبات والمستحبات وفي صحيح البخاري عن علي ابن أبي طالب أنه قيل له هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر أهل البيت بشيء فقال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء الا فهما يعطاه الرجل في كتاب الله والا ما في هذه الصحيفة ففتحوها فاذا فيها العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر فكيف لا يخص النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته وخلفاؤه بشيء ثم يخص رجلا في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة فقلت ان الشيخ عالم بالكتاب والسنة وفي جوابه مقنع لمن أراد أن يقنع قال احفظ هذا .

الأمر الثاني : اختلاف أبي بكر مع فاطمة الزهراء رضي الله عنهما على الميراث فلا يخفى أن فاطمة طلبت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه حقها من ميراث أبيها واحتجت عليه بأنه اذا مات هو يرثه أبناؤه، فلماذا يمنعها من ميراث أبيها، فأجابها أبو بكر الصديق

بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة • وقد حضر ذلك جماعة من الصحابة فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتى ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم فهذان حبيبان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها أو كما قال عليه الصلاة والسلام وصرح بأن أبا بكر الصديق أحب الناس اليه ، وقال ما أحد أمن علي في نفس ولا مال من أبي بكر الصديق رواه البخاري • وهذه المغاضبة التي وقعت بين أبي بكر وفاطمة ، تسوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق وقال له : اني رجعت عن عما قلته في حياتي فأعطها حقها من الميراث ، أو لظهر لفاطمةوقال لها يا ابنتيلا تغضبي على أبي بكر فانه لم يفعل الا ما أمرته به فقلت له ليس عندي من الجواب الا ما سمعت قال احفظ هذا •

الأمر الثالث : الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة ، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى واشتد النزاع بينهم حتى وقعت حرب الجمل ، في البصرة فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين وعقر جمل عائشة فكيف يهون على النبي صلى الله عليه وسلم سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به ، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت وذلك قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فقلت له ليس عندي من الجواب الا ما سمعت وظهوره وكلامه للشيخ التجاني فضل من الله ، والله يؤتي فضله من يشاء قال احفظ هذا وفكر فيه •

الأمر الرابع : خلاف علي مع الخوارج ، وقد سفكت فيه دماء كثيرة ، ولو ظهر النبي صلى الله عليه وسلم لرئيس الخوارج وأمره بطاعة امامه لحقنت تلك الدماء ، فقلت الجواب هو ما سمعت ، فقال لي احفظ هذا وفكر فيه ، فاني أرجو أنك بعد التفكير ترجع الى الحق •••

والأمر الخامس : النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية ، وقد قتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير ، منهم عمار بن ياسر ، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور لأفضل الناس بعده وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين واصلاح

ذات بينهم وحقن دمائهم ، وهو خير المصلحين العاملين بقوله تعالى (واصلحوا ذات بينكم) وقوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) ثم يظهر للشيخ التجاني في آخر الزمان لغرض غير مهم وهو في نفسه غير معقول لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة فلم يجد عنديجوابا غير ما تقدم ولكني لم أسلم له فقالليي فكر فيهذه الأدلة وسنتباحث في المجلس الآخر ، فعقدنا بعد هذا المجلس سبعة مجالس كل منها كان يستمر من بعد صلاة المغرب الى ما بعد العشاء بكثير • وحينئذ أيقنت أنني كنت على ضلال ، ولكن أردت أن أزداد يقينا فقلت له من معك من العلماء هنا في المغرب علىهذه العقيدة ؟ وهي أن كل مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ظهر لنا أنه موافق لهما قبلناه وما ظهر لنا أنه مخالف رددناه فقال لي يوافقني على هذا أكبر مقدم للطريقة التجانية في المغرب كله وهو الشيخ الفاطمي الشرادي ، فكدت أكذبه لأن المشهور في جميع أنحاء المغرب ان هذا الرجل من كبار العلماء وهو أكبر مقدم للطريقة التجانية ولم أقل أكبر شيخ لأن الشيخ التجاني لايبيح لاحد أن يكون شيخا للطريقة سواه ، لان تلقيبه بالشيخ قد يفهم منه انه يجوز لغيره أن يتصرف في اوراد الطريقة وفضائلها وعقائدها وذلك ممنوع لان الذي أعطى هذه الطريقة هو النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما كما تقدم والمتلقي الاول لها هو الشيخ أحمد التجاني والنبي صلى الله عليه وسلم سماه شيخا لهذه الطريقة ، وكل ناشر للطريقة وملقن لأورادها يسمى مقدما فقط فالطريقة لها مصدر واحد وشيخ واحد ولا يجوز تعدد المصدر ولا تعدد الشيخ حسبما في كتب الطريقة •

فتوجهت الى الشيخ الفاطمي رحمه الله وكان الوقت ضحى وقد أوصاني شيخنا محمد بن العربي ألا أسأله الا في خلوة فوجدت عنده جماعة فانصرف بعضهم وجاء آخرون وبقيت عنده أنتظر أن أخلو به حتى صلينا الظهر وجاء الغداء فلم أستطع أن أخلوبهوكان ثلاثة ممن كانوافيمجلسه حاضرين فقلتلهان الشيخمحمدبن العربيالعلوي يقول يجب علينا أن نعرض جميع المسائل أصولا وفروعا على كتاب الله وسنة رسوله فما وافق في نظرنا القاصر قبلناه وما خالف رددناه ولو قال به الامام مالك أو الشيخ أحمد التجاني فأشار الي بيده يستمهلني وكان جلوسي عنده قد طال فانصرفت الى